

10

قصص المبشرون بالجنة

رجل زاهد من
أحباب الله

سلوى العناني



رجل زاهد من أحبب الله

(سعيد بن زيد)

هذه هي ساحة الكعبة المشرفة تستعد لاستقبال الحجاج
هذا العام ، كما تستعد لهم في كل عام ، وما هي في
الأصنام قد ازفانت وانضمت من حولها الشموع ..

وما هم أولاء تجلُّ مكة قد ضاعفوا من كميات بضاعتهم
يرثونها ، ويحسنون عرضها لتستوقف الحجاج ويقبلوا
عليها .. يشترون بعضها لأنفسهم ولذويهم .. لكن أغلب
ما كانوا يشترون كانت قرايين يتقربون بها لاهتهم
الحجرية .. نعم كان هؤلاء يعبدون أصناماً من الحجارة لا
تنفع ولا تضر .. يلقون عليها التياب الجديدة .. وينحرون
تحت قدميها القرايين ، ثم يتبركون بدمائها ..

كانوا يسجدون لها ، ويكون بين يديها ، ويسألونها

العون والمقَّة والنجاح والرزق الواسع ..

وسط هذا الصخب والضجيج كان منك عند قليلٍ من
الناس يتأملُ ما يحدثُ ، ويتعجبُ من هذه العقول المتناقضة
والنفوس الحماقة ..

وكانت عيون هؤلاء تنجُّ إلى عددٍ قليلٍ من الرجالِ
الذين يتحدثون حديثاً آخر .. وينهجون منهجاً مختلفاً ،
ويؤمنون بفتيةٍ أخرى .. هؤلاء هم الأحناف ..

والأحناف هم الذين يعبدون الله على دين أبينا إبراهيم
عليهم السلام ..

فمن هم هؤلاء الأحناف الذين كانوا يعيشون في مكة
في هذا الزمان ؟

إنهم ثلاثة رضى الله عنهم ..

(قسُ بن ساعدة الأيادي) .

و (ورقة بن نوفل) .

و (زيد بن عمرو بن نفيل) ..

كان هؤلاء يترغون بكلمات التوحيد .. ويبشرون بقرب
سطوع شمس الإيمان الغالب في هذه الليل ومقرب قدوم
النبي المنتظر .. ويجاهرون بتركهم عبادة قومهم ، ويتهمونهم
دائما بالحق والغياء .. ورغم وحلة هدوهم فإن سياستهم
كانت مختلفة ..

كان (ورقة بن نوفل) عاكفا على قراءة الأنجيل يلزمها
ويتلوها بحثا عن حقيقة ما يؤمن به .. وهو دين إبراهيم ..

وكان (قس بن ساعدة) هائما يبحث عن الحقيقة دون أن
يعرف الطريق إليها .. ومات قبل أن يعرفها ..

أما (زيد بن عمرو بن نفيل) فقد أعلنها أكثر صراحة ..
"اعبد رب إبراهيم" ..

كان يجلس مستبدا ظهره إلى الكعبة مناديا الناس : "يا

معشر قريش ، والتي نفسى بيده ما أصبح منكم أحدٌ على
دين إبراهيمٍ غيرى ... " .

إني اتبعت ملة إبراهيم وإسماعيلَ من بعده وإنى لانتظر
نبياً من ولدِ إسماعيلَ .. ما أراهم أبداً
ثم ينادى علقم بن ربيعة ..

- يا عامر بن ربيعة ..

" إن طال بك الحيلةُ فأقره منى السلام " ..

إذن فقد كان (زيدُ بن عمرو بن نفيل) يدرك على وجه
اليقين قريباً ظهورِ النبي .. حتى أوصى أن يبلغه صديقه
(عامر) سلامه إليه ..

ولكن .. هل كان أمر (زيد) يقتصر على جلوسه إلى
جوار الكعبة معلناً اتباعه ملة إبراهيم حقيقاً .. ومبشراً بنبي
من نسلِ إسماعيل ؟؟ ..

لا .. لم يكن هذا فقط هو فعل (زيد) إنما كان يطوف
بالكعبة المشرقة .. ولم يكن طوافه مثل طواف غيره من
الجهلاء الذين كانوا يتجرعون من ثيابهم ويصفقون
ويصفرون وهم ينادون أصواتهم .. بل كان يطوف مسبحاً
مليئاً ..

.. لبيك حقاً حقاً ..

.. تعبلاً ورقاً ..

.. عذت بما عذ به إبراهيم ..

وأسلمت وجهي لمن أسلمت

له الأرض تحمل صغراً ثقلاً

دحاهما ، فلما رآها استوت

على الماء أرسى عليها الجبالا

وأسلمت وجهي لمن أسلمت

له النمرن تحمل عذبا زلالا

وعمل التعب بالشيخ المهيب الأشيب الشعر واللحية ،
فيجلس مرة أخرى مسنداً ظهره لجدار الكعبة متطلعا إلى
السماء وقد انهمرت دموعه وهو يناجي ربه ..
- اللهم لو أنى أعلم أى الوجوه أحب إليك لعبدتك
به ، ولكنى لا أعلمه ..

وعما يروى عن (زيد) أنه كان يحول دون وأد البنات ..
وإذا رأى من يريد أن يقتل ابنته ، قال له :
- لا تقتلها وأنا أكفيك مؤنتها .. أو يأخذها ويرعاها حتى
تكبر ..

ويقول لأبيها : "إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك
مؤنتها" ..

وتنقضى السنوات بزيد بن عمرو بن نفيل .. هانما مع
أشواقه المؤنثة - مثقلا ما بين الكعبة وخلاص الصحراء
يبحث عن ضالته المفقودة إلى أن يتركبه الموت فى العام

اللى أعيد فيه بناء الكعبة ..

ويترك (زيد) ذرية صلحة من بعده ..

ابنه (سعيد) .. اللى ورت عن أبيه العزوف عن عبادة الأصنام ، والايتماد عن العيش واللهو .. والشعور باقتضائ
خير قلام ..

ومضى الأيام (سعيد) .. فيتزوج بنت عمه (فاطمة بنت الخطاب) ، كما تتزوج شقيقته امين عمها (عمر بن الخطاب) شقيق (فاطمة) ..

وما إن يسمع (سعيد) أخبار (محمد) ودعوته إلى عبادة الله الواحد الأحد وهجر عبادة الأصنام حتى تدفعه روحه المرفهة وإحساسه القويم إلى الذهاب ومعه زوجته إلى (محمد) ومبايعته على أنه "لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله" ..

وكان على (سعيد) وزوجته أن يختبئا فى منزلهما يرسلان

القرآن ويتميدان لله بعيدا عن عيون الكفار والحاقدين ..

وكان (عمر بن الخطاب) صهر (سعيد) وابن عمه من

أشد الغلاة في اضطهاد المسلمين وتعذيبهم والعطش

بهم ..

وكان (عمر) يوما في ربيع شبابه فنى قريبا حاد الطبع ،

سريع الغضب ، عبا للسهر والخمر .. فلما علم بهجرة

بعض المسلمين إلى الحبشة حمل سلاحه ، واتجه إلى حيث

كان محمدٌ يجتمع مع صفوة من أتباعه المسلمين مصعما على

قتله ..

وفى طريقه إلى محمد وصحبه لقي (ابن الخطاب) رجلا

يدعى "نعيم بن عبد الله" فسأله عن وجهته .. فلما أخبره

عمر سخر منه (نعيم) قائلا :

- أفلا ترجع إلى أهل بيتك وتقيم أمرهم ؟

فاشتعل رأس عمر بن الخطاب غضبا ورجع إلى حيث

شقيقته (فاطمة) وزوجها (سعيد بن زيد) وما إن وصل
دارهم حتى سمع شيئا لم يتبينه .. لكنه أحس أنه كلام لم
يسمعه من قبل ..

وفق (عمر) الباب صائحاً .

فارتجف (سعيد) وزوجته وهما الرقعة التي كان يقرآن
منها .. ودخل عمر هائجا يسألهما عما كان يقرآن ويسألهما
عن حقيقة ما سمع ..

فأنكرا إسلامهما خروفاً من بطش (عمر) ..

لكن (عمر) لم ينتظر حواراً أو إقناعاً .. لكنه أمسك
(بسعيد) فطرحه أرضاً وهو يوسعه ضرباً .. وأندفعت
(فاطمة) تبعد أخوها عن زوجها .. لما كان من (عمر) إلا
أن صفعها صفقة أدمتها ..

هنا استجمعت (فاطمة) ثورتها وإيمانها وصرخت في
وجه أخيها معترفة بإسلامها وإسلام زوجها ..

وهذا (عمر) بعض الشيء، وطلب الصحيفة يقرأ به ..
وما إن قرأ حتى رق قلبه له ..

وانتهى نفوره حيث كان رسول الله وأعلن إسلامه بين
يديه ..

هذا هو (سعيد بن زيد بن نفيل) الذي أسلم (عمر بن
الخطيب) على يديه لما رأى منه قوة وصمودًا وعسكًا بدينه ..
هذه القوة التي جعلته لا يهاب (عمر بن الخطيب) وهو
الذي يعرف .. من هو (عمر) ؟!

وكان (سعيد بن زيد) من أوائل من أسلموا .. ويقول
عنه معاصروه : إنه كان بلحق قوالاً ولما له بلذاً ولهواء قامعاً
وقتالاً .. ولم يكن ممن يخاف في الله لومة لائم ، وكان عجاب
الدعوة ..

و(سعيد بن زيد) مكنًى بارزاً في أيام الإسلام وغزواته ،
وكان مكانه دائماً أمام النبي .. يدافع عنه ويدبر عنه كيد

أعدائه ، ويفتديه بروحه ..

أما في أيام السلم .. فكان مكانه خلف النبي يستوعب قوله وفعله ، لهذا أحبه النبي عليه السلام وخصه بمجموعة من المهام الجليلة ..

وكان يقول عنه : "سعيد بن زيد من أحياء الله" ..

عندما بدأ النبي عليه السلام التخطيط لغزوة بدر أرسل (سعيد بن زيد بن عمرو) ومعه (طلحة بن عبيد الله) .. لينظر في أمر قافلة قريش القادمة من الشام وما إن بقوا بها حتى علا سريعا إلى المدينة .. لكن النبي عليه السلام كان قد خرج لملاقاة قريش في (بدر) بعد أن وصلت أنباء أخرى .. وحزن (طلحة) و (سعيد) لأنهما تخلفا عن الغزو في سبيل الله .. فطمأنهما رسول الله إلى أن ما فعلاه كان جزءا من المعركة وأنهما لم يتخلفا عن تنفيذ أمره .. وأعطاهما من غنائم بدر مثل ما أعطى غيرهما من

تصدى للقتل ..

ومضت رحلة (سعيد بن زيد) إلى جوار رسول الله لكنه
كان يتخفى دائما عن الأضواء .. وكان دائما يحب أن يعمل
في صمت وهدوء ، فلا يشعر بوجوده أحد ..
إلا أن الرسول أعرف قدره وبشره بالجنة ضمن من بشر
من أصحابه ..

لم يفكر (سعيد) يوما في ولاية ولا رئاسة .. ولم يكن له
هم إلا ميلادين القتال ..

وعندما عرض عليه أبو (عبدة بن الجراح) ولاية دمشق
في خلافة صهره (عمر بن الخطاب) بعد أن أهلى بلاء
حسنا في معركة اليرموك - رفض هذا العرض وأثر أن
يظل جنديا إلى أن يرزقه الله بالشهادة .. فكتب إلى قائده
(ابن الجراح) يقول :

"سلام عليك ..

فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ..

أما بعد ..

فإني ما كنت لأوترك وأصحابك الجهاد على نفسي
وعلى ما يدينني من مرضة ربي ..

فهذا أنك كتابي هذا فأبعث إلى من هو راغب إليه منه ،
فإني قادم " عليك وشيكاً إن شاء الله تعالى " ..

هكذا كان (سعيد بن زيد) زاهداً في كل منصب راغباً
في كل راحة .. لم يطمع في شيء من الدنيا وهو بصير أمير
المؤمنين وابن عمه ..

لقد شارك في فتوحات كثيرة وغنم مغانم " عديدة " لكنه
لم يركن إلى الراحة ، ولم يخلل بما معه على الفقراء
والساكنين ..

وظل (سعيد بن زيد) جندياً محارباً حتى تجاوز السبعين
من عمره .. وقتها أثر أن يمضي ما تبقى له من العمر قريباً

سن رسول الله .. بصلّى حيث كان بصلّى .. ويستعيد

ذكريات النور الذي كان يحيط بمجلس النبوة ..

وظل مثلاً للنبل والتقوى والزهد والشجاعة إلى أن لقى

ربه بوجه كريم ، وفنن بالقرب من المدينة المنورة في العام

الخمسين للهجرة ..